أغاني ترقيص الأطفال دراسة نقدية في الشكل والمضمون

الدكتور هاتو حميد حسن
ميسان /٢٠١١

مقدمة :

مما لا شك فيه ، أن عطاء الحاضر لا يقل أهمية عن عطاء الفطرة والتراث. وإذا كانت الفطرة غذت الأمومة بكلمات المهد وغنائياته وقصصه ، فأن التراث كان وما يزال معيناً لا ينضب بإتحاف البنية اللغوية والتركيبية ، وإسعاف الحاضر بالأخيلة والأفكار الجديدة.

الفطرة أفرزت القيم والمبادئ السامية ، واتصف التراث بالعفوية الفنية وعليه .

الحاضر استطاع أن يؤسس لأدب الطفل ، وان يشهد ولادة جديدة ، وانطلاقة فريدة للنهوض بهذا الفن إلى أمام.

هذا النوع من الفنون الحديثة ، فرض إيجاد مؤسسات وهيآت مختلفة ، ترعى شؤون الطفل ، وتحرص على توسيع ثقافته فضلاً عن تنشئته وتربيته.

تبلورت اهتمامات أدب الأطفال في العصر الحديث ، كما تنوعت أشكاله ، فظهرت أنواع منه ، أدب طفلي تجاري وآخر توجيهي وتربوي في أوربا.

وانتعش العمل في هذين النوعين فهو مجال مربح ولا بديل عنه ، غزى العالم حتى وصل إلى مجتمعنا العربي.

ومن عطاءات الحاضر أيضاً ، وصل إلينا من الأعمال المترجمة ، التي أبدعها أدباء متخصصون في هذا الميدان ، ثم جاء الانفتاح على العالم عن طريق الوسائل الحديثة كالانترنيت ، كل ذلك عزز استقرار منهجية هذا الأدب ووضوح أهدافه ، فعُدَّ فناً لا يمكن النظر إليه بلا وعي أو مسؤولية.

وبشكل عام يعد أدب الأطفال من أهم الدعائم والمرتكزات الأساسية في بناء الإنسان وجعله خالياً من العقد والأمراض النفسية المختلفة بغية الإسهام مع الآخرين في بناء المجتمع والأمة.

وعلى الرغم من الانتشار الواسع الذي حققه أدب الأطفال في العالم ، ولاسيما بعد القرن التاسع عشر ، مازال هذا الأدب بعيداً عن حركة النقد الأدبي ، فلا نقد في حياتنا الأدبية عن أدب الطفل. لا في الصحافة ولا في وسائل الاتصال أو المؤسسات المعنية ولا حتى في الجامعات[١]. سوى محاولات محدودة قام بها بعض الباحثين[٢].

وظل النتاج الأدبي الموجه إلى الطفل يتدفق ، دون مراقبة أو تدقيق أو نقد ، لكشف مستوياته ومعرفة غثة من سمينه ، وتأثيره على عقول الأطفال ، وتحصينهم من التلوث والفساد الفكري والاجتماعي والروحي.

هذه محاولة نقدية جادة في جانب مهم من جوانب أدب الأطفال ، ألا وهي (أغاني ترقيص الأطفال – دراسة نقدية في الشكل والمضمون) ونترك للنقاد والمختصين دراسة الأشكال الأدبية الأخرى ونقدها.

إستقر البحث على ثلاثة مجالات رئيسة هي :

المجال الأول : - أهمية المقطوعات و الأهازيج للأطفال.

- أهم المبادئ التي يجب مراعاتها في وضع المقطوعات للأطفال.

المجال الثاني / الأهازيج والترانيم العربية للذكور ونقدها.

---

[١] في الأدب والفنون وأدب الأطفال – د. عبد المجيد زراقطه – بيروت – ٢٠١٠ : ١٧٥.

[٢] أدب الأطفال في العالم المعاصر – عبد الفتاح إسماعيل – القاهرة – ١٩٩٩ : ١٠٧.

ISSN-1994-697X

Print to PDF without this message by purchasing novaPDF (http://www.novapdf.com/)

المجال الثالث / الأهازيج والترانيم العربية للإناث ونقدها
ثم خلاصة البحث.

المجال الأول : أهمية المقطوعات والأهازيج للأطفال :

في الواقع من الأساليب المشوقة التي يرتاح لها الطفل ، المداعبة أو الملاطفة مع والديه أو أقرب الناس إليه أخته أو أخيه ، وهذا الجانب الشعوري النفسي يضفي الراحة والبهجة على الأطفال ويتصاعد فيه عنفوان الحب والوفاء عند الأبوين ، ونتيجة لهذه العلاقة الحميمة ، تطلق الأم أو المربية أو الأب بعض المقطوعات و الأهازيج ، لتكون لحظة الترقيص مؤطرة بالفرح والسرور[١].

هذا النوع من المقطوعات يحقق المتعة واللذة عند الأبوين والصغير معاً. فالأطفال ينطلقون في لعبهم وحركاتهم ، والآباء ينعمون بالراحة فهو انعكاس لطبيعة حياتهم وشعورهم في هذه اللحظات الجميلة. وتعد العلاقة بين الصغير والكبير من أسمى العلاقات الإنسانية والأطفال يندفعون بشغف إلى تلطيف الأجواء ، وما تتخلله من مقطوعات وأهازيج تتعلق بالمولود نفسه ، فترسم البسمة على محيّا الأطفال وتجعلهم يعيشون في أجواء آمنة ومستقرة ، ولاسيما التعاطف برقة مع الصوت الذي يألفه ويرتاح له ويتعلق به.

المقطوعات والأهازيج كثيراً ما تحد من التصرفات المرضية ، فهي تزيل الخوف والخجل والتلعثم الذي يعاني منه[٢] بعضهم ، فالأطفال ينتظرون فرص اللقاء هذه ولاسيما إذا كانت الأهازيج خفيفة وسريعة.

وأهمية المقطوعات تكمن في :-

١) تجدد نشاط الأطفال وتحقق لهم المتعة والتسلية.
٢) تثير مشاعر وأحاسيسهم الأطفال ، وتخفف من حالتهم المرضية.
٣) تصعيد التفاعل مع الآخرين.
٤) تعويد الأطفال على النطق السليم وإخراج الحروف من مخارجها عن طريق ترديد ما يسمعون من ألفاظ أو عبارات.
٥) إثراء لغة الطفل وتوسع ملكته الثقافية.
٦) استثمار الفراغ استثماراً نافعاً وجميلاً.

وتكمن أهمية ترانيم الأطفال فيما يأتي : -

١. تخفف من غضب الطفل وثورته وتجعله ميالاً إلى الهدوء والسكينة.
٢. الخلود إلى النوم الهادئ الخالي من المزعجات كالكوابيس المرعبة.
٣. حينما يسمع صوت والديه أو الصوت الذي يألفه يمنحه قوة وشحنة عاطفية حادة.
٤. حاجة الطفل إلى اللعب والمداعبة تشكل جانباً فسيولوجياً هاماً[٣] وإشباعاً لغريزته الذاتية.

- المبادئ التي يجب مراعاتها في المقطوعات والترانيم للأطفال :

نقصد بالمقطوعات والأهازيج الموجهة للأطفال ، الألفاظ والعبارات القصيرة والخفيفة التي تختارها الأم أو المربية بشكل عفوي ارتجالي ، تشيد فيها بالطفل ، سواء أكان ذكراً أم أنثى. وبيان ما فيها من محاسن أو صفات إنسانية نبيلة تختارها الأم أو المربية في لحظة ما يكون الظرف ملائماً لإثارة الطفل ومناغاته وملاطفته ، يصاحب ذلك ترديد بعض الألفاظ التي تراها مناسبة وبصوت مسموع مع الإيقاع والحركة.

فهي إذن تجربة شعورية صادقة يعيشها الأبوان ، ولهذا يجب مراعاة ما يأتي :

١. أن تكون مفردات الأهازيج والترانيم بسيطة وواضحة.
٢. الابتعاد عن المبالغات أو المحاكاة غير الواقعية.
٣. أسلوب طرحها يكون ملائماً لطبيعة الموقف والحالة النفسية للأبوين[٤].

---

[١] أدب الأطفال – د.علي الحديدي – مكتبة الانجلو المصرية – القاهرة – ١٩٩٢ : ٢٠.

[٢] الموجه الفني – عبد العليم إبراهيم – مكتبة الانجلو المصرية – القاهرة – ١٩٩٢ : ٢٣٠.

[٣] الأساليب الحديثة لتدريس اللغة العربية – سميع أبو مُعلى : ٢١٤.

[١] أدب الأطفال – د. سمير عبد الوهاب احمد – دار المسيرة – عمان – ٢٠٠٩ : ١٢١.

ISSN-1994-697X

Print to PDF without this message by purchasing novaPDF (http://www.novapdf.com/)

٤. التنوع في مضامينها كي لا تكون نسخاً مكررة مملة.
٥. الابتعاد عن الألفاظ والتعابير المثيرة للخوف أو الفزع ، كي لا تسبب السلس الليلي عند الأطفال حال سماعهم ذلك[١].
٦. حُسن اختيار المفردات يكون أكثر قبولاً عندهم إذا أقترن بالإيقاع.

المجال الثاني : الأهازيج والترانيم العربية للذكور ونقدها :

في الواقع ، العرب قبل الإسلام ، لم يهملوا الطفل بل اهتموا به اهتماماً خاصاً ، وكثيراً ما يصحب العربي ولده إلى مجالس السمر أو العمل والرعي والصيد وتوفير مستلزمات إعداده للحياة ، وعن قيمة الطفل العربي قال الشاعر :

إذا بلـــــغ الفطـــــام لنـــــا صـــــبي تخـــــر لـــــه الجبـــــابر ســـــاجدينا[٢]

وفي هذا الشأن ، ومن أجل العناية راح الأب ينشد ويترنم تجسيداً لعاطفة الأبوة ومنه قولهم :

وإنمـــــــا أولادنـــــــا بيننـــــــا أكبادنـــــا تمـــــشي علـــــى الأرض
لـــــو هبـــــت الـــــريح علـــــى بعـــــضهم لامتنعـــــت عينـــــي عـــــن الغمـــــض[٣]

وظل هذا الاهتمام قائماً حتى العصر الإسلامي. فنزلت الآيات الكريمة التي توصي المسلمين بضرورة معاملة الأطفال ذكوراً كانوا أو إناثاً ، معاملة حسنة لأنهم زينة الحياة ، غير أن النظرة القبلية في الجاهلية ، كانت تولي للذكور مكانة خاصة ، فكثرتهم تعني وجود القبيلة وحماتها ، انهم نعمة وعز ، وهم موضع المفاخرة والتباهي ، فالابن يحفظ أسم أبيه ويشد عصبته ويرث تقاليده ، ويحافظ على نسله ، ويسعفه إذا احتاج إلى ذلك.

وعند ولادة صبي ، تقام الأفراح والاحتفالات ، وتقدم إلى الأب التهاني و التبريكات. أما الأم فظلت تتغنى بشخصية مولودها وجمال طلعته ، وتتودد إليه من خلال ترديد بعض المقطوعات والأهازيج ، تعبيراً عن تعلقها به.

هذا الأسلوب ، ترك أثراً حسناً وقبولاً مريحاً عند الأطفال. فانطلقوا في أفراحهم ، وهم ينعمون بدفء عاطفة الأم الجياشة ، وتتعزز العلاقة وتتجدد روابطها أكثر لاسيما إذا كانت هذه الترانيم ذات مسحة موسيقية ، تضفي لمسة هانئة على الأجواء ، وتجعل الطفل ميالاً إلى الحركة واللهو وهو يرقص بين أحضان والديه.

ومن المقطوعات والأهازيج التي وصلت إلينا موجهة إلى الذكور.

أ. في العصر الجاهلي :-

ولعل أول صوت يطالعنا ، صوت الشيماء السعدية ، ما زال يدوي في شعاب نجد ووديانها وهي تقول

هـــــذا أخ لـــــي لـــــم تلـــــده أمـــــي
ولـــــيس مـــــن نـــــسل أبـــــي وعمـــــي
فأنمهُ اللهم في ما تنمي[٤].

---

[٢] الطرق الخاصة في التربية – محمد عطية الإبراشي : ٢١٤.

[٣] شرح المعلقات السبع للزوزني دار أحياء التراث العربي ، ط٢ ، بيروت ، ب،ت : ٢٣٥ ، ورد هذا البيت في آخر معلقة عمرو بن كلثوم..

[٤] في الأدب والفنون : ١٥٣.

[١] السيرة النبوية لأبن هشام ، القاهرة ، ١٩٥٥ : ١٣٦.

ISSN-1994-697X

Print to PDF without this message by purchasing novaPDF (http://www.novapdf.com/)

لاحظ دقة الوصف وقوة التراكيب وانسيابية الألفاظ. اجتمعت في هذا النص لتمنحه قوة وتأثيراً. أرادت أن تبين علاقتها بهذا المولود اليتيم الذي صار لها أخاً بالرضاعة. وبمقدمه عمَّ الخير جزيرة بني سعد ، فتحول المضمون الذاتي إلى الاجتماعي بتوافق رائع.

وتترنم منفوسة بنت زيد الخيل ، وهي ترقص أبنها وتقول :

أشبه أخي أو اشبهنّ أباكْ
أما أبي فلن تنال ذاك[١].

كانت تفخر بابيها لاسيما بعد مقابلة النبي (ص) له وتسميته إياه بـ (زيدُ الخير) بعد ان وفد إليه سنة ٩هـ[٢] نظراً لمكانته الكبيرة فهو شاعر وفارس وكريم الخلق. ولا يشبهه أحد حتى طغى الشعور الذاتي على بقية الصور الأخرى.

وهذا النص لا علاقة له بأغاني الترقيص ، فالكلام لم يوجه إلى الطفل ولم يرقص لذا نستبعده من هذه المجموعة وهو اقرب الى شعر الناشئة.

وفي أغنية ابي حرزة التي يرقص فيها ابنه المسمى (بلال) ويقول :

إن بلالاً لم تشنه أمه
ولم يناسب خاله وعمه
يشفي الصداع ريحه وشمه
ويذهب الهموم عند ضمه[٣].

لاحظ تعدد الصور ، إذ وردت متناسقة غير أنها لا تخلو من المبالغة.

وتصاعد عنفوان البدوي في الجزيرة وراح يرقص ابنه (سراج) ويقول :

عتيق يا عتيق
ذو المنظر الأنيق
والمقول الذليق
رشفت منه ريق[٤].

و الذليق : المحدد ، وفي هذا النص مغالطة واضحة ، إذ لا يمكن للطفل أن يكون قادراً على التعبير ، لان مفرداته محدودة أما الصور التي وردت في النص فإنما هي إضفاء جمالية للطفل والإشادة به أمام الآخرين[٥].

ويروى أن أعرابية كانت ترقص ولدها مجسدة عاطفة الأمومة بأبهى صورها وتقول :

يا حبذا ريح الولد
ريح الخزامى في البلد
أهكذا كل ولد ؟

---

[٢] البيان والتبيين ، الجاحظ ، ج٢ ، القاهرة ، ١٩٥٠ : ١٦٧.

[٣] الأغاني ، ج١٧ : ١٣٦.

[٤] الوجه الضائع – د. عبد العزيز المقالح : ١٣٤

[٥] الوجه الضائع ، د. عبد العزيز المقالح :٨٨.

[٦] معجم العين – الفراهيدي – ج١ : ٤١.

ISSN-1994-697X

Print to PDF without this message by purchasing novaPDF (http://www.novapdf.com/)

أم لـــــم يلـــــد قبلـــــي أحـــــد ؟[١].

شبهت ابنها بزهر الخزامى الذي يفوح برائحته الزكية إذ لا يشبهه احد ولم يولد طفل قبله بهذه الصفات. ألفاظ بسيطة معبرة ومحتوى جميل وواضح ، تصاعد فيه العنفوان الذاتي عند الأم وتشبيهها جاء مقنعاً.
وتعكس الأهزوجة الآتية معاناة امرأة أو شكواها، وقد تزوجت ولم ترزق بمولود ، فتتمنى أن يكون لها ولد قوي وتقول :

يـــــا حـــــسرتا علـــــى ولـــــد
أشـــــبه شـــــيء بالأســـــد
إذا الرجـــــال فـــــي كبـــــد
كـــــان لـــــه حـــــظ الأســـــد[٢].

كشفت عن نواياها المفعمة بالأمل ، غير أن ما ورد من تشبيه كان بسيطاً دلالة على بساطة محدودة ثقافة هذه الإعرابية.
ولعل بعض النسوة ممن لا ينجبن ، تظل معاناتهن قائمة ويظل القلق مرافقاً لهن وتجسد ذلك في المضمون الاجتماعي والحاجة إلى الاستقرار النفسي.

ب. في العصر الإسلامي :

أ. الأهازيج الخاصة :

قال النبي (ص) لجعفر بن أبي طالب (ع) : ((أشبهت خلقي)) [٣] وعند الوقوف أمام هذا النص ، لا نجد فيه صلة بالأطفال فجعفر لم يكن طفلاً كي يرقصه الرسول (ص) وإنما كان غلاماً ، يعي ويفهم ويدرك قول النبي (ص).
لذا نستبعد هذا النص من أهازيج الأطفال.
وقول عبد المطلب ، للنبي (ص) قبل البعثة :

هـــــذا غـــــلام طيـــــب الاردان
قـــد ســـاد فـــي المهـــد علـــى الغلمـــان
أعيـــــذه بالبيـــــت ذي الأركـــــان
حتـــــى أراهُ بـــــالغ البنيـــــان.

وكان عبد المطلب يصحب الرسول (ص) ويطوف معه الكعبة. وكان عمره آنذاك أكثر من عشر سنوات.
حقيقة أن هذا النص لا يقع ضمن أغاني الترقيص ، فالنبي (ص) كان غلاماً ولم يكن طفلاً كي يرقصه. كل ما أراد جده هو التعبير عن حبه ، فراح يردد تلك العبارات. لذا نستبعد هذا النص من أغاني الترقيص وهو اقرب إلى أهازيج الناشئة.
وفاطمة الزهراء (ع) كانت ترقص ابنيها (ع) وتقول :

إن بنـــــي شـــــبيه بـــــالنبي
ولـــــيس شـــــبيهاً بعلـــــي[٤].

---

[٢] في الأدب والفنون : ١٦٦.
[٣] السيرة النبوية ، أبن هشام ، القاهرة ، ١٩٥٥ :١٣٧.
[٤] في أدب الأطفال – د. علي الحديدي : ١٣٤.
[١] العقد الفريد ، أبن عبد ربه ، ط١ ، دار الكتب ، بيروت ، ١٩٥٦ : ٤٢٩.

ISSN-1994-697X

Print to PDF without this message by purchasing novaPDF (http://www.novapdf.com/)

لعلها أرادت التحديد وليس الإطلاق والمقصود هو الإمام الحسن (ع) فهو أشبه برسول الله خلقة وخُلقاً هذا ما أثارت إليه المصادر التاريخية. وقولها عبارات قصيرة ذات دلالة واضحة وعميقة يتألف فيها المضمون الاجتماعي.

ودخل على الزبير بن عبد المطلب ، أخوه العباس ، وهو غلام فأقعده في حجره ثم قال:

إن أخـــي عبـــاس عـــف ذو كـــرم ... فيه عن العوراء إن قيلت صمم وينحر
يرتـــاح للمجـــد ويـــوفي بـــالنعم ... الكومـــاء فـــي اليـــوم الـــشَّبم[١].

والنص كما هو واضح لا علاقة له بأغاني ترقيص الأطفال ، وإنما أراد أن يفخر بكرم العباس أمام الآخرين. ولعل هذه الصفة ليست غريبة عن أسرة الرسول (ص).

ونحن نؤيد ما ذهب إليه بعض الباحثين ، أن ما ورد من هذه النصوص وهذه الموروثات ، ليس في عداد أدب الأطفال[٢].

ومثل هذا ما ذهبت إليه فاطمة بنت أسد ، في عقيل بن أبي طالب (ع) وتوقعت أن يكون له شأن كبير بين قومه مستقبلاً ولهذا رددت هذا القول :

أنـــت تكـــون ماجـــداً نبـــيلاً
إذا تهـــب شـــمالٌ بلـــيلا[٣].

و عقيل ليس طفلاً وإنما كان صبياً وما ورد إنما هو توقع ليس إلا ، لذا نستبعد هذا النص أيضاً لعدم وجود علاقة بينه وبين أدب الأطفال.

ب. الموضوعات العامة :

١. الدعاء :

أشارت بعض الأراجيز إلى موضوع الدعاء. ومن ذلك قول الإعرابية :

عوذتـــه بالكعبـــة المنـــوره
ومـــا تـــلا محمـــد مـــن ســـوره
دعـــوات أبـــن أبـــي محـــذوره
أنـــي إلـــى حياتـــه فقيـــرة[٤].

ويترنم الحسن البصري بأهزوجته وهو يرقص ابنه ويقول :

يـــا حبـــذا روحـــه ونفـــسه
وحبـــذا نـــسيمه وملمـــسه
والله يبقيـــه لنـــا ويحرســـه
حتى يجر ثوبه ويلبسه[٥].

---

[٢] الأمالي ، للقالي ، ج٢ ، بيروت ، لات :١١٧.

[٣] أدب الأطفال – د. هادي عثمان الهيتي – بغداد – ١٩٧٩ : ٢٠٦

[٤] في أدب الأطفال – د. علي الحديدي : ٢٢٧.

[٥] في الأدب والفنون ، د. زراقط : ١٣٤.

[٦] أدب الأطفال – د. هادي نعمان الهيتي – بغداد – ١٩٧٩ : ٢٠٦.

ISSN-1994-697X

Print to PDF without this message by purchasing novaPDF (http://www.novapdf.com/)

لعل البصري غالى في صوره ، إذ أطلق عليه صفات لا يستحقها فالتعددية في اختيار ألفاظه وعباراته جعلت النص متماسكاً وطغت الصبغة التربوية على محتواها. مما جعل مفرداته ذات فضاءات محدودة .

وقد ورد نص قريب منه يقول :

يـــــا حبـــــذا روحـــــه وملمـــــسه
أصـــــلح شـــــيء ظلـــــه واكيـــــسه
الله يرعـــــاه لـــــي ويحرســـــه[١].

وأرى إن موضوعي النصين متشابهان وربما يكون قائلهما واحد. فالصور قريبة من بعضها والمضمون يكاد يكون متطابقاً بينهما.

ولعل الدعاء بركة وهو يخفف بعض المعاناة ، ويهدأ ثورة النفوس.

قال الأصمعي ، رأيت امرأة ترقص طفلاً وتقول :

أحبـــــه حـــــب شـــــحيح مالـــــه قـــد كـــان ذاق الفقـــر ثـــم نالـــه[٢].

أرى في هذا النص صورة الجمع بين الجانب العاطفي والمادي فجاءت المقارنة غير محببة ، لا من حيث الألفاظ ولا من حيث المعنى.

نقد نصوص الذكور بشكل عام :

١. جاءت مقطوعات والأهازيج التي تقال فيهم متفاوته الأطفال ، متفاوتة من حيث الشكل والمضمون ، اذ تناولت مضامين اجتماعية وتربوية مختلفة.

٢. ارتجلت المقطوعات والأهازيج ارتجالاً ، أي هي وليدة لحظتها لذا تجسدت فيها العفوية والاندفاع الذاتي تجاه الأبناء.

٣. عكست المقطوعات والأهازيج الحالة النفسية التي كان عليها الأبوان عند نشأتهم ، وتذكيرهم بما مر عليهم من مواقف.

٤. إسلوب المقطوعات جاء على شكل النظم الشعري ، وبلغة فصيحة زاد من حماسة الأبوين في ترقيص أبنائهم.

٥. اعتماد صيغة المبالغة في بعض المقطوعات ، وإضفاء بعض صور الحب للأطفال ، مما يعطي انطباعاً أن بعضهم لا يستحق كل هذا الوصف والتباهي.

٦. اختيار المفردات من قبل الأبوين وتنوعها ، دليل على تفننهم في شد الأطفال وترقيصهم.

٧. وردت في بعض النصوص ، تشبيهات ، غير أنها جاءت متفاوتة من حيث قوة التعبير وقد استمدت مادتها من الواقع فضلاً عن بساطتها.

المجال الثالث :- الأهازيج والترانيم العربية للإناث ونقدها :

الحياة العربية قبل الإسلام ، كان يحكمها النظام القبلي ، مما حول ساحة الجزيرة العربية وما فيها من قبائل إلى صراعات وخلافات مستمرة بينها. فكانت الحياة بشكل عام مضطربة ومتوترة ومعقدة.

ولو سلطنا الضوء على الجانب الاجتماعي لوحده ، لوجدنا العجب والغرابة في ذلك ، لما فيه من ممارسات لا إنسانية ، فمثلاً النظرة إلى الأنثى ، كانت متدنية ، وان الأنثى حظها ليس كالذكر ، وسرعان ما يتم التخلص منها حية في وأد البنات[٣] ، والنظرة القاصرة هذه لها أسبابها ، منها ضنك فيعدّ يوماً أسود ،

---

[١] في أدب الأطفال – د. علي الحديدي : ٢٢٧.

[٢] في الأدب والفنون ، د. علي الحديدي : ١٣٤.

[٣] بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب – محمود شكري الالوسي – ج٣ – دار الكتب العلمية – بيروت – ٢٠٠٩ : ٤١.

ــ وأنظر المرأة في الإسلام –. د. فؤاد حيدر – بيروت – ١٩٩٢ : ١١٦.

ISSN-1994-697X

Print to PDF without this message by purchasing novaPDF (http://www.novapdf.com/)

فالأنثى تحتاج إلى رعاية واهتمام خاص ، والعربي لم يكن مهيئاً لذلك ، ثم إنها من وجهة نظرهم تشكل عيباً ، لأنها عرضة إلى الأسر والسبي ، وإلحاق العار بالقبيلة(١) ، وظل موقفها لا نقول غائباً بل محدوداً ، وقد أشار القرآن الكريم إلى هذا الموضوع وممارسة مثل هذه الطقوس ، قال تعالى :

((وَإِذَا الْمَوْؤُودَةُ سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ...)) (٢).

أما اليوم الذي تولد فيه أنثى ، فيعَدّ يوماً أسود ، والأب يلزم البيت ولا يخرج منه ، كي لا يهان. قال تعالى : ((وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالأُنثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدّاً وَهُوَ كَظِيمٌ))(٣).

غير أن حنان الأم وعطفها لا تحده حدود ، لاسيما تجاه الأنثى ، ولن تخفت أو تتوقف جذوة العاطفة ، وإنما تظل مستعرة في داخلها ، وراح بعضهن يداعبن ويمازحن البنات ويسمعهن بعض المقطوعات والأهازيج تعبيراً عن فرحهن وبهجتهن ، بعيداً عن أعين الآخرين ، لإشباع غريزتهن بما يسهم في تربية البنت وهذا ما أكد الإسلام أهميته فيما بعد.

وردت بعض المقطوعات والأهازيج التي اختصت بترقيص الإناث ومن هذه المقطوعات ما يأتي : -

أ. في العصر الجاهلي : كانت زوجة أبي حمزة الضبي ترقص ابنتها وتقول :

ما لأبي حمزة لا يأتينا ... يظل في البيت الذي يلينا
غضبان أن لا نلد البنينا ... تالله ما ذلك في أيدينا
وإنما نأخذ ما أعطينا ... ونحن كالأرض لزارعينا

ننبت ما قد زرعوه فينا

لاحظ الانتقال بين الصور ومدى ترابطها في هذه القصة ، فراحت تخاطب زوجها وهي كسيرة القلب ، وتوضح له ، أن تحديد النسل ليس بيدها وإنما هو تقدير الهي ، وبأسلوب رقيق جعلت زوجها يعي غلطته ويعود إلى أسرته فالمحتوى الاجتماعي برز في هذا النص واضحاً.

وعبر الشاعر أبو نخيلة السعدي ت ١٤٥هـ(٤)، عن حبه لابنته وراح يرقصها ويقول :

يا بنت من لم يك الهوى نبت
ما كنت إلا خمساً أو ستاً
حبي حللت في الحشى
فتفتت قلبي من جوى تفتتا

ولا شك في أن للطفلة التي يكون عمرها خمس سنوات أو ستاً منزلة خاصة عند الأبوين ، وقد عبّر الشاعر عن حبه من خلال ترادف الصور وشعوره الفياض تجاه ابنته ، وقد مازج بين المضمون التربوي والاجتماعي معاً.

وسُمِعت أحدى الإعرابيات ترقص ابنتها وتقول :

---

(١) وأنظر مدخل إلى الأدب العربي – د. سليمان معوض – بيروت – ٢٠٠٨ : ٣٥.

(٢) في أدب الطفل – عبد الفتاح أبو معال – عمان – ١٩٧٩ : ٧٨.

(٣) سورة التكوير الآيتان (٨-٩).

(٤) سورة النحل الآية (٥٨).

(٥) الأغاني ، ج١٩-٢٠ : ٤٠٣.

ISSN-1994-697X

Print to PDF without this message by purchasing novaPDF (http://www.novapdf.com/)

بنتـــــــي ريحانـــــــة أشـــــمها
فـــــديت بنتـــــي ونـــــديت أمهـــــا

لاحظ الحوار الداخلي الذي يطلق عليه المنلوج عند الأم. وقد شبهتها بالريحان لعطره المميز ، وبهذه العبارات القصيرة تمكنت من تحقيق غايتها. فالمفردات كانت بسيطة ومستخدمة في التعبير،اسهمت الى حد كبير في رقي المعنى الاجتماعي .

والمحتوى جاء متزامناً مع هذا الميل الأبوي.

ووري عن امرأة كانت ترقص ابنتها وتقول :

ومـــا علـــيّ أن تكـــون جاريـــة
تكـــنس بيتـــي وتـــرد العاريـــة
تمـــشط رأســـي وتكـــون الغاليـــة
وترفـــع الـــساقط مـــن خماريـــة
حتـــى إذا مـــا بلغـــت ثمانيـــة
رويتهـــا ببـــردة يمانيـــة

في هذا النص دلالات متعددة :

١. وضحت مهام البنت في البيت.

٢. تواضعها عن ممارسة مهامها.

٣. وإذا بلغت ثمانية سنوات تكون مؤهلة للزواج وهديتها بردة يمانية.

وهذا النص يحكي حياة البنت في تلك الحقبة التاريخية ، الألفاظ جاءت معبرة ولعل المحتوى الاجتماعي جاء واضحاً أيضاً.

وقد شوهد أحدهم يرقص ابنته ويقول :

كريمـــــة يحبهـــــا أبوهـــــا
مليحـــة العينـــين عـــذب فوهـــا
لا تحـــسن الـــسب وإن ســـبوها[١].

فالألفاظ (كريمة ، مليحة ، عذب فوها) لها وقع خاص مازج بينها وبينه الجانب المعنوي (لا تحسن السب) فاكتملت الصورة وهذا نوع من التواضع. ولعل ما ورد من محتوى دليل على تعلق الأب بابنته.

ومن أمثلة التعريض ، روي أن العجلان بن سحبان ، كان يرقص ابنته ويقول معرضاً بزوجته :

وهبتهـــا مـــن خلـــق نطاقهـــا مـــشمر عرقوبهـــا عـــن ســـاقها[٢].

يكثر من جيرانها أحداقها

وعند تحليل النص أعلاه ، لا نجد فيه ما يرقص ابنته ، وإنما أراد زوجته وما فيها من علة النحافة ، ولهذا نستبعد هذا النص من أغاني ترقيص الأطفال.

ب. في العصر الإسلامي :

في حياة بعض الشخصيات الإسلامية جوانب خفية ، وهذا موقف عبر فيه الزبير بن العوام عن مشاعره تجاه ابنته أم الحكم قال :

---

[١] البيان والتبيين ، الجاحظ : ١٩٥ : ١٦٤.

[٢] في أدب الأطفال – د. علي الحديدي :٢٣٠.

ISSN-1994-697X

Print to PDF without this message by purchasing novaPDF (http://www.novapdf.com/)

يـــــا حبـــــذا أم الحكـــــم كأنهـــــا ريـــــم أجـــــم[١]
يـــــا بعلهـــــا مـــــاذا يُـــــشم ســـــاهم فيهـــــا فـــــسهم

شبه ابنته بالغزالة كثيف الشعر ، دلالة على لخفتها وحذقها والسيطرة حتى على شؤون حياتها.
وهذا النص إنما هو وصف لام الحكم وهي امرأة ، تفهم كلام أبيها وهي ليست طفلة ، لذا نستبعد هذا النص ولا علاقة له بأغاني ترقيص الأطفال أيضاً.
ونجد بين المقطوعات والأهازيج ، نصوصاً تهدف إلى بيان ما في نفس إلام من طموح واعتزاز بالأبناء ، من دون التدخل في الجانب الديني ، ومن ذلك قول امرأة وهي ترقص ابنتها الملقبة بـ (ببه) وتقول :

جاريـــــــة فـــــــي قبـــــــه
مكرمـــــــــة محـــــــــسَّبه
تحـــــبُ أهـــــل الكعبـــــه[٢].

لاحظ أن العبارات جاءت قصيرة ، ولكنها معبرة ، فالصور التي رسمتها إنما هي شريط سريع يحكي منزلة البنت عند أمها ، ومما زادها قوة أنها تحب المسلمين ، لأنهم أهل البيت الحرام ، وهذا شرف يسعى إليه كل إنسان ، ولعل الزمخشري تشرف بهذا سابقاً وقد لقب بـ (جار الله) لأنه سكن وعاش بالقرب من الكعبة أكثر من ثلاث سنين. وهكذا تناغم المضمون الاجتماعي والروحي معاً.
وعند تتبعي لاغاني ترقيص الأطفال في العصر الإسلامي ، لم أعثر إلا على هذين النصين ، وربما يعود السبب إلى إنها لم تدون وربما فقدت شأنها شأن المفقودات من النفائس الأخرى.

نقد نصوص الإناث بشكل عام :

١. اختيرت مفردات الإناث بشيء من التأني ، إذ كانت أرق من مفردات الذكور.
٢. قلة النصوص التي ترقص الإناث في العصر الإسلامي. وندرتها ربما بسبب عدم تدوينها أو إن الحاجة إليها اقتضت إهمالها لان الإسلام قضى على وأد البنات.
٣. لا تخلو بعض المقطوعات والأهازيج من المبالغة في وصف البنت ، ربما يأتي هذا اعتزازاً بها.
٤. دخلت بعض المفردات الإسلامية على بعض النصوص ، أي انتقلت مع المقطوعات من العصر الجاهلي إلى الإسلامي مثل (الكعبة ، محمد ، سورة...).
٥. لا تخلو أهازيج الإناث من التشبيهات ، غير إن معظمها ورد بسيطاً ولا جمالية فيه.
٦. هناك تشابه في مضامين الأهازيج لا يخرج عن الإطار الاجتماعي والتربوي.

خلاصة القول :

قراءة متأنية في مداخل هذه النصوص ، يمكن معرفة المقطوعات والأهازيج الموجهة للأطفال بشكل عام ، إذ جاءت على طريقة التعبير الشفهي للأبوين وهي أقرب إلى الرجز ، وهذا النوع من البحور يلائم هذه المقطوعات لخفته وسرعته.
أضف إلى ذلك كشفت بعض المقطوعات إضفاء صفات فيها شيء من المبالغة ، ومحاولة إخفاء عيوب بعض الاطفال.
والسؤال الذي يطرح نفسه.
هل هذه المقطوعات والأهازيج ، ما زالت مستمرة أم أنها اندثرت؟ فنقول: إنها ما زالت موجودة غير أن الفصحى اختفت فيها ، وحل محلها لغة العصر أو اللغة اليومية الشعبية ، والسبب ربما يعود إلى قلة ثقافة

---

[١] الاجم : الشعر الكثيف. معجم العين – الفراهيدي ج١ – بيروت ٢٠٠٣ : ٥٩.
[٢] في الأدب والفنون – د. عبد المجيد زراقط : ١٦٦.

ISSN-1994-697X

Print to PDF without this message by purchasing novaPDF (http://www.novapdf.com/)

الأبوين وعدم قدرتهم على التعبير بالفصحى وان خطابهم اليومي بعيد عنها ، ففضلوا أن تكون تعابيرهم على وفق الصياغة التي يريدونها ، لأنها متداولة بين الناس. وقد أضيفت هذه الأهازيج اليوم إلى التراث الشعبي عند الأمم ودونت مع تراثها المحلي.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم
- أدب الأطفال – احمد نجيب وآخرون ج١ – القاهرة – ١٩٧٩.
- أدب الأطفال وواقع الطفل في مجتمعنا – إبراهيم محمود – بيروت – ١٩٩٥.
- أدب الأطفال – د. سمير عبد الوهاب احمد – دار المسيرة – عمان – ٢٠٠٩.
- أدب الأطفال – د. عبد الرزاق جعفر – رابطة الكتاب العربي – دمشق – ١٩٧٩.
- أدب الأطفال – د. هادي نعمان الهيتي _ بغداد _ ١٩٧٩.
- أدب الأطفال في العالم المعاصر – عبد الفتاح إسماعيل – القاهرة – ١٩٩٩.
- أدب الأطفال – محمد حسين بريفش – بيروت – ١٩٩٦.
- الأغاني ،الأصفهاني تح عبد مهنا وآخرين ج١٩ بيروت ٢٠٠٨
- البيان والتبيان _ الجاحظ _ ج٢ _ لات.
- الأمالي _ للقالي _ ج٢ _ لات .
- بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب محمود شكري الآلوسي – بيروت – ١٩٩٦.
- السيرة النبوية _ أبن هشام _ ج١ _ القاهرة _ ١٩٥٥.
- شعر الناشئة – سلمان داود القره غولي ـ إطروحة ماجستير – بغداد – ١٩٨٦.
- الطرق الخاصة في التربية – محمد عطية الإبراشي – ط١ – القاهرة – ١٩٥٥.
- العقد الفريد _ ابن عبد ربه _ ج٢ _ بيروت _ ١٩٥٦.
- في أدب الأطفال – د. علي الحديدي – مكتبة الانجلو المصرية – القاهرة – ١٩٩٢.
- في أدب الأطفال – عبد الفتاح أبو معال – دار الشؤون – عمان – ١٩٧٩.
- في الأدب والفنون وأدب الأطفال – د. عبد المجيد زراقط – بيروت – ٢٠١٠.
- مدخل إلى الأدب العربي – د. سليمان معوض – بيروت – ٢٠٠٨.
- المرأة في الإسلام – د. فؤاد حيدر – دار الفكر العربي – بيروت – ١٩٩٢.
- معجم العين – الفراهيدي ج١ – بيروت – ٢٠٠٣.
- الموجه الفني في تدريس اللغة العربية – عبد العليم إبراهيم ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٩٢.

الوجه الضائع – د. عبد العزيز المقالح – ج١ – دار المسيرة – عمان – ١٩٨٥.

ISSN-1994-697X

Print to PDF without this message by purchasing novaPDF (http://www.novapdf.com/)